

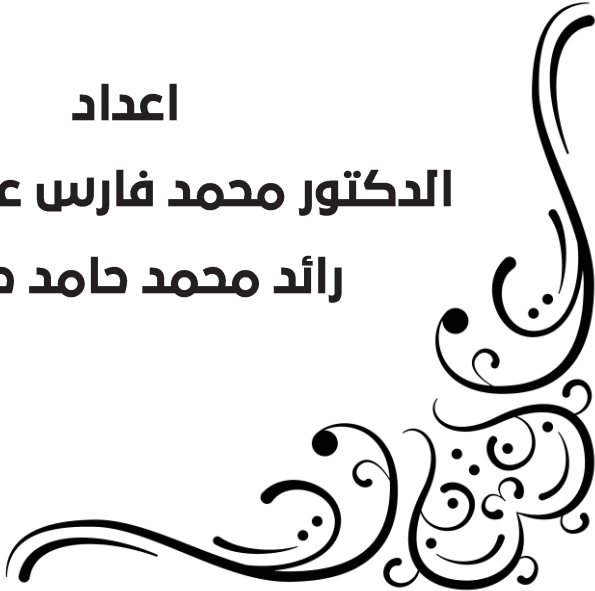


**العمق التاريخي للأقسام الداخلية  
الخدمات الاجتماعية في المدرسة  
النظامية ببغداد- أنموذجا**

**اعداد**

**الدكتور محمد فارس عبد الوهاب**

**رائد محمد حامد حسن**



## المقدمة

((الحمد لله حمداً لا ينفذ وبأفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على أفضل المرسلين المصطفى محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين))  
أما بعد:

فإن هذا البحث محاولة جادة للنهوض بواقع الخدمات المقدمة إلى طلبة الأقسام الداخلية ويكشف عن إمكانية تضافر الجهود والإمكانيات المتاحة من قبل المؤسسات الاجتماعية وأصحاب النفوذ والجاه على مد يد العون من أجل الأقسام الداخلية في أبهى صورها التي طالما كانت حلماً من الأحلام الجميلة التي راودت مخيلتنا كباحثان ومخيلة الطلبة لا سيما بعد التغيرات الحاصلة والهادفة إلى بناء العراق الجديد .

إن حلم النهوض بواقع الخدمات المقدمة لطلبة الأقسام الداخلية، والتي لفها الظلام لعدة عقود أهمية بالغة الخطورة لأنها تعود بالفائدة على البلد أولاً ، وعلى المجتمع ثانياً ، وعلى العلم ثالثاً ، ومما لاشك فيه أن تلك الخدمات أخذت حيزاً كبيراً من تفكير وجهد الطلاب الساكنين في الأقسام الداخلية فبدلاً من أن ينصب اهتمام الطلبة على التحصيل العلمي ، أصبحت مشكلة الماء والكهرباء وظروف السكن من أولويات تفكيرهم ، بذلك تصبح حجر عثرة وإضاعة جهود في غير محلها ، لاسيما ونحن بأمس الحاجة إلى كل جهد خير وتفكير سليم غير مشوش للنهوض بالبلد واللاحق بركب العلم مع بقية الدول ، وأن نعمل معاً من أجل تطوير وتنمية الأفكار والابتكارات بما يناسب مرحلة النهوض الحضاري الجديد الذي تشهده البلاد وهي تعيش في وسط أجواء وتحديات كبيرة سواء كانت داخلية أو خارجية ، ونسأل الله العليّ القدير أن يوفقنا في مسعانا هذا خدمة لبلدنا العزيز والجريح وأن يكون هذا العمل والجهد المتواضع بلسماً لتلك الجروح ولبنة خير لكل العراق والعراقيين ان شاء الله .

## المبحث الأول

### منهجية البحث:

٢- مشكلة البحث:- لقد انتابنا شعور قوي لدى عملنا في الأقسام الداخلية بضرورة تحسين أوضاع الطلاب الساكنين في تلك الأقسام لأنهم شريحة مهمة من الجدير دراستها وتوفير أفضل الخدمات لهم للتخفيف عنهم وتلطيف الأجواء النفسية التي تتركها الغربة عند الطالب بسبب بعده عن الأهل فضلاً عن حاجته إلى الإحساس بالأمان والاطمئنان ، وأن ذلك الشعور الصادق كان حافزاً قوياً دفعنا إلى التفكير بكل جدية وعلمية نحو تناول مشاكل تلك الشريحة نظراً لدورها الكبير والمهم في عملية نهضتنا الحالية والمستقبلية وكذلك بسبب تعدد تخصصات الطلبة المنتمين إلى تلك الشريحة وتنوع مستوياتهم العلمية التي تؤهلهم للتأثير في فئات المجتمع في المستقبل.

٢- صعوبة البحث: - إن من أهم المشاكل التي واجهتنا هي عدم التفهم لأهمية تلك الدراسة من قبل أعداد غير قليلة ممن عرضت عليهم مد يد العون ومساعدتنا في هذا العمل الكبير بالنسبة لنا ، وغير المهم بالنسبة إليهم فضلاً عن عدم إقبال بعض طلبة الأقسام على المساهمة في هذا البحث لاعتقادهم بعدم جدوى القيام بمثل هكذا نوعية من الدراسات نتيجة صدمات سابقة " حسب زعمهم " ولكن بالإيمان الصادق بأهمية العمل والوصول إلى الهدف المنشود وبعون الله تعالى استطاع هذا البحث أن يشق طريقه وسط الأمواج المتلاطمة وأن يصل إلى شواطئ وبر الأمان والحمد لله أولاً وآخراً .

٣- الهدف من البحث: - إن أهداف هذا البحث تكمن في الوصول إلى أفضل السبل الكفيلة بالارتقاء بواقع الخدمات المقدمة للطلبة الساكنين في الأقسام الداخلية

وتخفيف الأعباء التي يعانون منها تلك التي تحد من قدراتهم وتأخذ حيزاً كبيراً من تفكيرهم وأن تلك الخدمات المقدمة إليهم ستسهم بلا شك في تهيئة الأجواء المناسبة لدراساتهم وتفوقهم العلم.

٤- **مفاهيم البحث:** إن لتحديد المفاهيم وتبسيط الضوء عليها أهمية كبيرة نظراً لإضافتها على البحث ضرباً من المعرفة المتنوعة بكافة جوانبها الاجتماعية المختلفة ولأنها تحقق نوعاً من الدقة والموضوعية لأن إدراك المعاني والأفكار التي يريد الباحث التعبير عنها بغية توصيلها الى الناس ليس بالشيء الهين أو اليسير .

أ- **الأقسام الداخلية:** - مؤسسة خدمية تقدم خدماتها لطلبة الجامعة في مجالات الإسكان وما يتعلق به وقد أخذت على عاتقها توفير الأجواء المناسبة للطلبة الوافدين من أماكن بعيدة ساعين وراء العلم والتعلم وتعتبر البيت الثاني والبديل للطلبة الساكنين وهي تحظى برعاية واهتمام رئاسة الجامعة.

ب- **الخدمات الاجتماعية:** وتعد من المفاهيم المهمة والحيوية التي تناولها علماء الاجتماع والمختصون حيث عدها محمد عاطف<sup>(١)</sup> ((مجالاً مهنيّاً متخصصاً يهتم بتطبيق المبادئ السوسيولوجية والسيكولوجية لحل مشكلات مجتمعة ذات طبيعة خاصة ولهذا يهتم الأخصائيون الاجتماعيون العاملون في حقل الخدمة الاجتماعية بمعالجة العديد من المشكلات المتصلة بتوافق التنظيم الاجتماعي وحسن أداءه لوظيفته في المجتمع ويطلق هذا المصطلح على مجموعة من الطرق والوسائل المنظمة لمساعدة الآخرين لإشباع حاجة لا يستطيعون إشباعها دون مساعدة)) بينما

(١) قاموس علم الاجتماع ، ص ٤٤٨.

عرفتها إدارة العمل الاجتماعي<sup>(١)</sup> في الجامعة العربية بأنها ((نشاط وجهود منظمة ذات صفة علاجية ووقائية وإنسانية في خدمة الناس وتقصد مساعدتهم أفراداً وجماعات في الوصول إلى حياة كريمة تسودها علاقات طيبة وإلى مستويات اجتماعية تتمشى مع رغباتهم وإمكاناتهم وتتفق مع أمانى المجتمع الذي يعيشون فيه)) وتناولها " جميل صليبا " <sup>(٢)</sup> بقوله ((عمل يقوم به الفرد لينتفع به غيره ومنه الخدمات الاجتماعية وهي الأعمال التي يقوم بها الأفراد للوفاء بما يحتاج إليه أبناء جنسهم من الأمور الضرورية لحياتهم فالخدمات الاجتماعية إذن أعمال ووظائف نافعة في حفظ حياة المجتمع وتنميته وتكون عامة تتولاها الدولة أو خاصة يقوم بها الأفراد ، وعلم الاجتماع يبحث في كيفية تعاون الأفراد على تنظيم ما يحتاجون إليه من الخدمات)). وبناء على ذلك تعد الخدمات الاجتماعية ، جهداً حثيثاً من كافة الأطراف سواء أكانت حكومية أو غير حكومية للإسهام في رفع المعاناة عن المحتاجين تلك الخدمات الاجتماعية للقيام بدورهم في المجتمع على أكمل وجه وأحسنه .

### المبحث الثاني

#### نظرة تاريخية لدور الخدمات الاجتماعية في رعاية دور العلم

إن اهتمام المسلمين في نشر العلم بين كافة طبقات الشعب علامة مضيئة في تاريخنا الإسلامي ولذلك أسسوا المعاهد والمدارس العلمية الكثيرة وأنفقوا على من يتعلم فيها الأموال ووفروا له الحاجيات الأساسية لغرض تفرغه للدراسة وعدم انشغاله في تهيئة مسكنه ومأكله وملبسه لوجود من يقوم بها عنه ويعينه على طلب العلم ، وذلك كله جاء

(١) معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية والعلوم المتصلة بها ، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) المعجم الفلسفي ، ج ٢ ، ص ٥٢٦.

امتنالاً للحث على طلب العلم في القرآن الكريم فأول ما أنزل من القرآن الكريم هو الأمر بالقراءة وذلك بقوله تعالى: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم))<sup>(١)</sup> ، وجاء التأكيد على طلب العلم من قبل الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، عندما قال ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))<sup>(٢)</sup> وقد كان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) على درجة عالية وكبيرة من العلم حتى شبه بمدينة العلم والإمام علي "كرم الله وجهه" بابها<sup>(٣)</sup> لما يحمل بين جنباته من العلوم والمعارف الكثيرة التي شملت جميع نواحي الدين الإسلامي الحنيف وبناءً على ذلك تسابق الصحابة في تنفيذ أمر الله -جلا وعلا- ورسوله الكريم -عليه الصلاة والسلام- في نشر العلم ومساعدة طلابه بكل ما يلزم من تهيئة الأجواء المناسبة لهم للتفرغ للدراسة فضلاً عن القيام برحلات من أجل طلب العلم في أي مكان من الدولة الإسلامية متحدين بذلك مشتاق السفر وأخطاره التي لم تفت في عضد طلاب العلم رغم قسوة وصعوبة السفر آنذاك وكان ذلك كله من أجل حب العلم وحمله إلى آفاق بعيدة من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف وقد لعبت المساجد دوراً مهماً وحيوياً في حياة المسلمين منذ البداية وحتى اليوم وبرغم من كون المساجد مكاناً للتعبد والصلاة فإنه كان يمثل أيضاً مدرسة لتعليم المسلمين كل ما يتعلق بدينهم الحنيف ، فضلاً عن منازل العلماء التي لعبت كذلك دوراً مهماً في نشر العلم وتوسيع قاعدة التعليم ابتغاء رضى الله لقوله تعالى: ((الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم

(١) سورة العلق: الآية ١ - ٥

(٢) سنن ابن ماجه، ٨١/١ (٢٢٤).

(٣) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٤٤ .

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم))<sup>(١)</sup> ، مما دفع بعض الأساتذة ((مشايخ العلم)) إلى " استدعاء طلابهم الغرباء ليقوموا معهم حتى أن احدهم وكان غنياً استضاف خمسين طالباً منهم<sup>(٢)</sup> على نفقته الخاصة مساندين الخلفاء الذين اولوا العلم والعلماء أهمية كبيرة ويذكر أن الفاروق كان أول من فرض للمعلمين والطلاب<sup>(٣)</sup> الأموال لغرض تفرغهم للعلم والدراسة ، فضلاً عن " قيام بعض الأغنياء بالتكفل بنفقة الفقراء من الطلبة الساعين الى طلب العلم "<sup>(٤)</sup> ، والذين تمكنوا من فتح طريقهم الى العلم بالصبر " وبمساعدة من الدولة التي أعدت لهم مستلزمات الدراسة <sup>(٥)</sup> يبدأ بيد مع الأغنياء والمحسنين الذين دأبوا على مد الطلبة بحاجتهم من المال استكمالاً لما قام به " الخلفاء والوزراء والولاة من إرسال الأموال الى الشيوخ والمعلمين لتوزيعه على الطلبة "<sup>(٦)</sup> ، وكان ذلك الدعم الا محدود لطلاب العلم حافزاً في التشجيع على طلب العلم من الفقراء ، وانتشرت دور العلم في الدول العربية الإسلامية .

(١) سورة الأنفال ، الآية: ٣-٤ .

(٢) سامي الصفار ، تاريخ التعليم عند المسلمين ، ص ٦٦ .

(٣) ابن سلام ، الاموال ، ص ٣٧٢؛ سعيد الديوه جي ، الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام ، ص ١٠-١١؛ سعيد الديوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ١٦ .

(٤) سامي الصفار ، تاريخ التعليم عند المسلمين ، ص ٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

وإن أقدم دار علم أسست في الموصل هي " دار أبين حمدان حيث كانت الدار تفتح كل يوم لطلاب العلم فيجدون فيها الكتب المختلفة وأدوات الكتابة ولوازمها وأن كانوا معسرين فإنه كان ينفق عليهم من ماله " (١) ، وكان في بعض دور العلم مساكن للطلاب ولهم من الجرايات والأرزاق ما يكفيهم " فقد بنى أحد القضاة داراً للعلم وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق " (٢) وكان الوزير أبين الفرات وزير الخليفة المقتدر بالله العباسي " يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والفقراء " (٣) وعلى نفس المنوال قام " أبين طولون بشراء محلة بأسرها وأوقفها على من ينزل من الغرباء وطلبة العلم نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم من الخلل " (٤) ، وبعد التطور الحاصل في الدولة العربية الإسلامية أصبح التنظيم في أبهى صورة وفي المجالات كافة وكان لمجال التعليم له حظ وافر في تلك التنظيمات من حيث الدقة وكان الفضل في هذا التنظيم الدقيق يعود إلى " الوزير نظام الملك فإنه بنى المدارس في كثير من البلاد الإسلامية وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها ولأثاثها وما يحتاجه المدرسون والطلاب من السكن والكتب والطعام والجرايات الوافرة التي تساعدهم على

(١) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ٧ ، ص ١٩٣ ؛ سعيد الديوه جي ، بيت الحكمة ، ص ٧٣ .

(٢) سعيد الديوه جي ، الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام ، ص ١٧ .

(٣) ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ١ ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٦ ، ص ١٣٥ ؛ سعيد الديوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ٩٣ .

التفرغ للدراسة " (١) فضلاً عن " المارستان ((المستشفى)) لعلاج من مرض منهم " (٢)، وبذلك أصبحت المدارس على درجة عالية من الاهتمام بطلبتها وما يحتاجه من مستلزمات الدراسة " كالمدرسة النظامية التي سنتكلم عنها بشكل مفصل .

### المبحث الثالث

## لمحة تاريخية للخدمات الاجتماعية المقدمة للطلاب في المدرسة النظامية في بغداد

### أولاً: موقع المدرسة:

أما موقع المدرسة فقد كانوا يختارون أجمل الأماكن المشرفة على النهر أو المتنزهات وقد يحفونها بحديقة تتخللها المياه ويقومون بزخرفة بناياتها وتجميلها مما يدفع الملل عن الطالب وينشطه للدرس والاستفادة (٣)، وكانت الجهة الشرقية من بغداد حافلة بالأسواق العظيمة الترتيب وفيها نحو الثلاثين مدرسة وأعظمها وأشهرها النظامية (٤)،

(١) سعيد اليوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ٩٣ .

(٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٨-٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ؛ محمد اسعد أطلس ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ١١٩

(٣) الديوه جي ، سعيد، التربية والتعليم في الإسلام، (الموصل: د.ت)، ص ٧٧.

(٤) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن احمد، رحلة ابن جبير، (دار صادر، دار بيروت: ١٩٦٤)، ص ٢٠٥.

واتجاه باب المدرسة <sup>(١)</sup> على شاطئ دجلة <sup>(٢)</sup> في وسط سوق الثلاثاء <sup>(٣)</sup>، فوق دار الخلافة العباسية بينها وبين المستنصرية <sup>(٤)</sup>، ولتحديد موقع المدرسة النظامية في بغداد ..... أنظر خارطة رقم (١) .

(١) بناء المدرسة:

شرع في بناء المدرسة سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م <sup>(٥)</sup>، " وقد عُمرت على جزء من دار مؤنس المقتدري التي كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد ونُقض لأجل بنيانها: الدور الشاطئية التي كانت بمشركة الروايا والغرضة وباب الشعير ودرب الزعفراني عند سوق الخفافين" <sup>(٦)</sup>، ينظر خارطة رقم (٢)، وقد امتنع ابو اسحق الشيرازي

(١) جواد، مصطفى، المدارس البغدادية ومدرسوها في أيام بني العباس ومن بعدهم، بحث منشور في مجلة المعلم الجديد، السنة العاشرة، كانون الثاني لسنة ١٩٤٦، الجزء الاول، ص ١١.

(٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط٣، د.م، د.ت)، ١ / ٤٤-٤٥.

(٣) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، (دار صادر، دار بيروت: ١٩٦٤)، ص ٢٢٥.

(٤) معروف، ناجي علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي؛ (مطبعة الإرشاد، بغداد: ١٩٧٣)، ص ١٩.

(٥) الأبراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، (ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة: ١٩٦٩)، ص ٩٥.

(٦) معروف، علماء النظاميات، ص ١٩ .

(ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) <sup>(١)</sup> أول من نصب للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد <sup>(٢)</sup> من تولي التدريس فيها لأنه قال لم أطب نفساً بالجلوس في هذه المدرسة لما بلغني أن البناء أبا سعد القاشي غصب أكثر الاتها ونقض قطعة من البلد لأجلها <sup>(٣)</sup> ولم يزل الوزير نظام الملك يرفق بأبي اسحق حتى درس بها <sup>(٤)</sup> كان بناءها أبا سعيد الصوفي <sup>(٥)</sup>، وذكر للوزير نظام الملك أنه خان وتصرف في كثير من مال البناء فعلم أبو سعيد وهرب إلى البصرة ثم ندم على قراره وعاد إلى بغداد وقصد الوزير وقال له: أسست هذه المدرسة لوجه الله فكل أمر الخائن الى الله يصبك الثواب ويخزه العذاب ويذق وبال أمره ويزر وزره يوم القيامة فقال الوزير: ليس حزني على المال الذي اختنته أنت وغيرك، إنما آسى على الزمان الذي فات ولا أستطيع رده، أردت أن يكون بناء المدرسة محكماً مثل المسجد

<sup>(١)</sup> الامام أبو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي المشهور بالشيرازي، مدرس ببغداد وكان من ابرز فقهاء عصره توفي ببغداد سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م . ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الانساب، تحقيق: رياض مراد (ط٢)، الناشر محمد امين دمج، بيروت، ١٩٨١م) ٩ / ٣٦١-٣٦٢.

<sup>(٢)</sup> السبكي، طبقات الشافعية، مج ٣ / ٩٠-٩٢.

<sup>(٣)</sup> الشيرازي، أبو اسحق، طبقات الفقهاء، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، (ط٢)، دار الرائد العربي، بيروت: ١٩٨١)، ص ٨.

<sup>(٤)</sup> نفيسي، سعيد، المدرسة النظامية في بغداد، ترجمة: حسين علي محفوظ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الأول، بغداد: ١٩٥٤، ص ١٤٥.

<sup>(٥)</sup> شلبي، احمد، التربية الإسلامية، نظمها - فلسفتها - تاريخها، (ط٧)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٨٢)، ص ١١٩.

المنصوري والمارستان العضدي، فقد أتاني أنهم كانوا يفرغون على الآجرة زنبيل حص، وقيل لي أنفقت المال في الأجر المنقوش وأنا أخاف أن يستولي عليها الخراب وشيكاً، ولم يخاطبه أكثر من ذلك (١). نستشف من وصف الرحالة ابن جبير للمدرسة النظامية في بغداد سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)، معتبراً إياها أعظم وأشهر مدرسة في بغداد (٢)، فضلاً عن وصف الرحالة ابن بطوطة للمدرسة النظامية سنة (٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م)، بالعجبة التي صارت الأمثال تُضرب بحسنها (٣)، مدى روعة بنائها وكثرة النفقات التي أنفقت عليها.

وفي هذا المجال ذكر أن نظام الملك انفق على بناء المدرسة النظامية نحو مائتي ألف دينار من ماله الخاص (٤)، ولا ننسى أن ذلك المبلغ يعد كبيراً في ذلك الوقت، وقد قيل أنه لما أسرف في النفقات على المدارس النظامية، حتى بلغ ما ينفقه على طلبة العلم نحو ٦٠٠ ألف دينار في السنة، وشي به بعض خصومه الى السلطان السلجوقي ملكشاه، وقالوا: " إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية، فعاتبه في ذلك فأجابه [ نظام الملك ]: " يا بني أنا شيخ أعجمي، لو نودي علي في من يزيد لم أحفظ خمسة دنانير، وأنت غلام تركي، لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً، وأنت منشغل بازائك (بأمورك) منهمك في شهواتك، وأكثر ما يصعد

(١) نفيسي، المدرسة النظامية في بغداد، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) ابن جبير، رحلة، ص ٢٠٥.

(٣) ابن بطوطة، رحلة، ص ٢٢٥.

(٤) أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (مطبعة الرشاد، بغداد: ١٩٦٥)،

إلى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب إذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طولهِ ذراعان وقوس لا ينتهي مرماها إلى ثلاثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور، وأنا أقمت لك جيشاً (يقصد طلاب المدرسة النظامية) يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا إلى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك في خفارتهم فقبل ملك شاه وسكت " (١).

وقد أقنعت هذه الحجة التي عرضها نظام الملك السلطان ملكشاه ليؤيد توجهات الوزير نظام الملك العلمية

## ٢) اكتمال بناء المدرسة وافتتاحها:

أجمعت العديد من المصادر أن المدرسة النظامية في بغداد أفتتحت سنة (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) (٢)، للدراسة فيها (٣)، في حين ذكر الاصفهاني بأن الانتهاء من بناء المدرسة

(١) الطرطوشي، محمد بن محمد الوليد، سراج الملوك، (ط٢)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ١٤١٢ هـ)، ص ١١١-١١٢ ؛ وقيل أن المبلغ الذي ينفقه على طلبة العلم (٩٠٠،٠٠٠) دينار في السنة، انظر: زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: د.ت)، ٣ / ٢٢١-٢٢٢.

(٢) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص ٢١٣؛ المقريزي، الخطط، ٢ / ٣٦٢؛ الابراشي، التربية الإسلامية، ص ٩٥؛ شلبي، التربية الإسلامية، ص ١١٩ ؛ الديوه جي، التربية والتعليم، ص ٩٤.

(٣) معروف، علماء النظاميات، ص ١٩.

كان في سنة (٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) <sup>(١)</sup> واعتبر ذلك التاريخ حداً فاصلاً فيما يخص بأمكان التعليم عند المسلمين، باعتبار المدرسة النظامية في بغداد أول مدرسة من مجموعة المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك <sup>(٢)</sup>.

روي أن المدرسة النظامية في بغداد جددت سنة (٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) <sup>(٣)</sup> بعد مرور ما يقرب من نصف قرن من الزمان وهي مدة طويلة قياساً بنوعية المواد التي بني فيها في ذلك الوقت فضلاً عن العوامل الطبيعية التي تؤثر في بناء المدرسة، فقد ذكر أنه في سنة (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) حدث فيضان لدجلة أغرق الجانب الشرقي من بغداد وقسماً من جانبها الغربي <sup>(٤)</sup> ووصل الماء الى ثلاثين ذراعاً علو <sup>(٥)</sup> فمن الراجح أن ذلك الفيضان قد طال المدرسة النظامية واثرت تلك المياه في بناء المدرسة فضلاً عن الاساس الذي بنيت عليه المدرسة .

<sup>(١)</sup> عماد الدين محمد بن محمد حامد، تاريخ دولة ال سلجوق، اختصار: الفتح بن علي بن محمد البغدادي الأصفهاني، (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٧٨)، ص ٣٥ .

<sup>(٢)</sup> شلبي، التربية، ص ٤٣ .

<sup>(٣)</sup> ابن جببر، رحلة، ص ٢٠٥ ؛ الديوه جي، الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الاسلام، (مطبعة الهدف، الموصل: ١٩٥٥)، ص ٤٠ .

<sup>(٤)</sup> الصوفي، احمد علي، أرض السواد، (مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل: ١٩٥٥)، ص ٧٧ ؛ سوسة، احمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، (ط١، مطبعة المعارف، بغداد: ١٩٤٩)، ٢ / ٦١٨ .

<sup>(٥)</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط١، مطبعة السعادة، مصر: ١٩٥٢)، ص ٤٢٢ .

ولا ننسى الفتن والاضطرابات التي كانت تحدث من حين لآخر فقد قيل إنه في سنة (٤٩٦هـ / ١١٠٢م) وقعت فتنة في النظامية جرت فيها أمور عظيمة <sup>(١)</sup> تلك العوامل كلها أثرت على المدرسة النظامية وأصبح من الضروري تجديد بناء المدرسة لتصبح أكثر ملاءمة وتماشياً مع متطلبات ذلك العصر من أجل تقديم أفضل الخدمات الاجتماعية لطلاب المدرسة النظامية في بغداد .

#### ثانياً: الخدمات الاجتماعية في المدرسة النظامية في بغداد

مما لا شك فيه أن الخدمات الاجتماعية التي قدمت للدارسين والمشتغلين في المدرسة النظامية، كان لها الأثر البالغ والكبير في اجتذاب كثير من طلاب العلم الذين كانت لديهم رغبة وموهبة ولكن كان ينقصهم المال، فوجدوا في تلك الخدمات فرصة ثمينة لاشباع رغبتهم وصقل موهبتهم، فضلاً عن بذل الجهد والتسابق فيما بينهم من أجل تحقيق أهدافهم في الحصول على أكبر قدر من العلوم والمعارف، فقد ذكر أنه اتفق عدد من " المشتغلين على استعمال حَبِّ البلاندر <sup>(٢)</sup> لأجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا

(١) نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٧ .

(٢) حَبِّ البلاندر: ثمرة شجرة ولونه احمر الى السواد على لون القلب وفي داخله شيء شبيه بالدم يؤتى به من الصين وقد ينبت بصقلية في جبل النار نافع من النسيان وذهاب الحفظ، انظر: ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن احمد، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (مطبعة العامرة، د.م: ١٢٩١هـ)، مج ١ / ١١٣ ؛ وجميع الأعراض الحادثة في الدماغ ويؤخذ بحذر فإنه خطر، انظر: بن رسول الغساني، الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي، المعتمد في الأدوية المفردة، صححه وفهرسه: مصطفى السقا، (ط٢، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٩٥١)، ص ٣٢ .

ببعض الاطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا  
القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في

موضع خارج عن المدرسة فحصل لهم الجنون <sup>(١)</sup> ان هذا النص يدل على أن  
طلاب العلم في تلك المدرسة كانوا يلتمسون كافة السبل من اجل التعلم وإن كان على  
حساب صحتهم . وقيل إن طلاب المدرسة النظامية في بغداد كانوا ستة آلاف طالب <sup>(٢)</sup>،  
وكان يختلف الى درس الامام الغزالي عندما كان استاذاً في المدرسة النظامية <sup>(٣)</sup> ثلاثمائة  
من التلاميذ <sup>(٤)</sup>، في حين أُشير إلى أنه في سنة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) قدم الى بغداد  
رجل من مرو اسمه اردشير بن منصور ابو الحسين العبادي ... جلس في النظامية  
وحضره أبو حامد الغزالي المدرس بها وكان الغزالي يحضره ويسمع كلامه منذ قدم بغداد  
فلما جلس كثر الناس عليه حتى امتلأ صحن المدرسة واروقتها وبيوتها وغرفها وسطوحها

<sup>(١)</sup> نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٦-١٤٧ ؛ م. شريف، الفكر الإسلامي منابعه  
وآثاره، ترجمة وتعليق: احمد شلبي، (ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٦٦)  
ص ٤٨-٤٩.

<sup>(٢)</sup> الديوه جي، التربية والتعليم، ص ١٠٦.

<sup>(٣)</sup> الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق: سليمان دنيا، (ط١،  
دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٩٦١)، ص ٧ ؛  
زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (ط٢، دار مكتبة الحياة، بيروت: ١٩٧٨)، ٣/  
١٠١.

<sup>(٤)</sup> ابن العماد، شذرات الذهب، ٣ / ١٧٨ .

وعجز المكان ... فكانوا على سبيل الحرز ثلاثين ألفاً<sup>(١)</sup>، إن ذلك العدد يعد كبيراً قياساً بما قيل عن عدد طلاب المدرسة النظامية، ولم يذكر المصدر عن هذا التواجد الضخم إن كان ليوم واحد أم استمر لفترة محدودة، لأن ذلك العدد بحاجة إلى خدمات كبيرة اعتقد أن المدرسة لا تستطيع أن تقي بها بأي شكل من الأشكال ومن أهم الخدمات المقدمة في المدرسة النظامية في بغداد:

#### (١) نظام تعدد الأساتذة:

يذكر أنه في سنة (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) أخذت نظامية بغداد بنظام تعدد الأساتذة للمواد المختلفة<sup>(٢)</sup> حيث ذكر أنه في سنة ٤٨٣ هجرياً قدم الأمام أبو عبد الله الطبري بغداد بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس النظامية ثم ورد بعده في السنة نفسها أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي ومعه اذن بالتدريس فاستقر أن يدرس الشيرازي يوماً والحسين بن علي الطبري يوماً<sup>(٣)</sup> وفي سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م) قدم الشيخ ابو حامد الغزالي إلى

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (ط١)،

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند: ١٣٥٩ هـ)، ٧٥ / ٩.

(٢) الرويشدي، سوادي عبد محمد، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ٦٠٦ -

٦٦٠ هـ / ١٢٠٩ - ١٢٦١م، (ط١، مطبعة الرشاد، بغداد: ١٩٧١)، ص ٢٠٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٣ / ٩.

بغداد للتدريس في المدرسة النظامية <sup>(١)</sup> وخرج إلى الحج سنة (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) واستتاب أخاه أحمد في التدريس <sup>(٢)</sup>.

## ٢) قاعة المحاضرات:

تعد من الأبنية المهمة التي ترافق بناء المدرسة فقد أُشير إلى أنه في " كل مدرسة ايوان وهو يقابل قاعة المحاضرة اليوم " <sup>(٣)</sup>، وبذلك كانت في المدرسة النظامية قاعات للدرس <sup>(٤)</sup>، لتحمي الطلاب من حرارة الشمس في الصيف والبرد والمطر في الشتاء . وكان بعض الوزراء يقصد المدرسة النظامية ويحضر التدريس فيها ليرغب الناس في العلم <sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> الأصفهاني، تاريخ، ص ٧٨-٧٩؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب العربية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (ط١، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٤٩)، ص ١٢٩.

<sup>(٢)</sup> الغزالي، فيصل التفرقة، ص ٧؛ مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، (مطابع دار الكتاب العربي، مصر: د.ت)، ص ٤٨.

<sup>(٣)</sup> العميرة، محمد حسن، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، (ط١، دار المسيرة، عمان: ١٩٩٩)، ص ١٩١.

<sup>(٤)</sup> رؤوف، عماد عبد السلام، مدارس بغداد في العصر العباسي، (ط١، مطبعة دار البصري، بغداد: ١٩٦٦)، ص ٢٩.

<sup>(٥)</sup> ابن الجوزي، المنتظم، ٩ / ١٤٣.

## (٣) سكن وطعام الطلبة والمدرسين:

جرت العادة منذ عهد نظام الملك ببناء الغرف والبيوت الخاصة بسكنى المدرسين والطلاب والمعيرين وسائر الموظفين في المدرسة ذاتها <sup>(١)</sup>، وهذا ما كان في المدرسة النظامية في بغداد، حيث كانت دار المدرسين بدهليز النظامية <sup>(٢)</sup>، فضلاً عن وجود مساكن للطلبة <sup>(٣)</sup>، إن توفير السكن للمدرسين والطلبة داخل المدرسة يساهم بشكل فاعل في الاستفادة من الوقت المخصص للدراسة وبشكل منتظم ومعلوم، وذلك من خلال التواجد في المدرسة والقرب من أماكن الدرس فضلاً عن عدم إضاعة الوقت الذي قد يستغرق للمجئ إلى المدرسة في حالة السكن خارج المدرسة .

بعد أن ثبت لدينا سكن مدرسي المدرسة النظامية وطلابها فيها، أصبح من الضروري تقديم وجبات من الطعام تقدم لهم وفق مواعيد محددة وأنواع معينة من الطعام وأن عملية إعداد الطعام وتقديمه فضلاً عن التنظيفات بحاجة إلى كوادر مدربة وذات معرفة ودراية بتلك الأعمال التي انيطت بهم وقد أُشير إلى وجود قاعة للطعام <sup>(٤)</sup> يتناولون الطعام فيها <sup>(٥)</sup> في المدرسة النظامية في بغداد لتكفيهم مؤنة طعامهم <sup>(٦)</sup>.

(١) رؤوف، مدارس بغداد، ص ٢٥.

(٢) نفسه، ص ٢٨.

(٣) العمارة، أصول التربية، ص ١٩١.

(٤) نفسه، ص ١٩١.

(٥) حسنين، عبد النعيم محمد، سلاجقة إيران والعراق، (ط ١)، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٥٩)، ص ١٩٣

(٦) شلبي، التربية الإسلامية، ص ٣٦٧.

## ٤) خزانة الكتب:

كان يلحق بالمدرسة خزانة ضخمة للكتب يرتب لها ناظر من " أكابر علماء  
عهدهم " <sup>(١)</sup>، وتجري فيها سائر أمور النسخ والمطالعة والكتابة وتزود بفتحة سقفية الغاية  
منها التهوية والإضاءة <sup>(٢)</sup>، وقد حوت مكتبة المدرسة النظامية ببغداد كل نفيس ومفيد من  
الكتب والمخطوطات فقد ورد أنه أُهدي الى نظام الملك أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلها  
منها غريب الحديث لإبراهيم الحزمي <sup>(٣)</sup> بخط أبي عمر بن حيويه في عشر مجلدات  
فوقفه نظام الملك على طلاب المدرسة النظامية في بغداد <sup>(٤)</sup>، وكان لمكتبة المدرسة  
النظامية ببغداد فهرس شامل دقيق رآه ابن الجوزي (ت سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وقال  
عنه ..... ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي  
على نحو ستة آلاف مجلد <sup>(٥)</sup>، وقال ابن الاثير ان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ هـ -  
٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) أمر في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة  
النظامية ببغداد ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها <sup>(٦)</sup>، وفي النصف الاول

(١) نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٩.

(٢) رؤوف، مدارس بغداد، ص ٢٩.

(٣) من أهل المدينة المنورة روى عن ابن عيينة وانس بن عياض، توفي سنة ٢٣٦ هـ /  
٨٥٠ م، للتفاصيل ينظر، الجزري، عز الدين ابن الاثير، اللباب في تهذيب  
الانساب، (مكتبة المثني، بغداد: د.ت)، ١ / ٣٦٢.

(٤) شلبي، التربية الإسلامية، ص ١٩١-١٩٢.

(٥) نفسه، ص ١٥٣.

(٦) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، (دار صادر، دار  
بيروت: ١٩٦٦)، ١٢ / ١٠٤.

من القرن السابع الهجري وقف محب الدين بن النجار صاحب ذيل تاريخ بغداد خزانتي من الكتب للنظامية وكانت هذه الكتب تساوي ألف دينار<sup>(١)</sup>.

#### ٥) مسجد للصلاة:

كان يُدرس بالمدرسة النظامية ببغداد " العلوم الشرعية ووسائلها " <sup>(٢)</sup> وسكنها من حملة الشريعة ورجالها من مدرسين ومعيدين وفقهاء (أي طلبة) وأعلام <sup>(٣)</sup>، كالشيخ أبي إسحق الشيرازي<sup>(٤)</sup> الذي أحيا من العلم ما دَرس وكشف من الحق ما التبس وشرح الأصول وفرعها وأوضح الأدلة ونوعها " <sup>(٥)</sup>، فكان لابد أن يكون للمدرسة جامع للصلاة لأنها من الأركان المهمة في الدين الاسلامي، وقد أشير إلى أنه كان " يلحق بأحدى جهات البناء مسجد خاص للصلاة والقيام بامور العبادة " <sup>(٦)</sup>، وقد ادى الرحالة ابن جبير فريضة الصلاة في النظامية في الجمعة الأولى بعد وصوله بغداد وكان ذلك سنة

(١) شلبي، التربية الإسلامية، ص ١٩٢.

(٢) ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ٥٧.

(٣) معروف، علماء النظاميات، ص ٢٠.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ١٣ / ٥.

(٥) الأصفهاني، تاريخ، ص ٣٥.

(٦) رؤوف، مدارس بغداد، ص ٢٨.

(١٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) <sup>(١)</sup> فضلاً عن الصلاة على العديد من الاموات في جامع المدرسة النظامية <sup>(٢)</sup>.

#### ٦ حمام للطلبة ودار للوضوء:

بعد أن تبين لنا وجود سكن للطلبة داخل المدرسة النظامية فضلاً عن وجود مسجد لأداء فريضة الصلاة وإشارة للصلاة على العديد من الأموات في جامع المدرسة النظامية يتضح أنه كان في (داخل هذه المدرسة حمام للطلبة ودار للوضوء)، <sup>(٣)</sup> لتلبية تلك الاحتياجات الأساسية التي لا غنى عنها من قبل المسلمين، لان الدين الإسلامي يؤكد على الطهارة والنظافة .

#### ٧ خدم وحراس المدرسة:

أشير إلى وجود خادم لإبراهيم بن علي الفيروز آبادي الفقيه في المدرسة النظامية، حيث قال مرة لخادمه في المدرسة النظامية أبي طاهر بن شيبان بن محمد الدمشقي:

وشيخنا الشيخ ابو طاهر      جمالنا في السر والظاهر <sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> غي لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة وتعليق: بشير يوسف فرنسيس، (ط١، المطبعة العربية، بغداد: ١٩٣٦)، ص ٢٥٤.

<sup>(٢)</sup> ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ / ١٧٨؛ جواد، مدرسو مدرسة أبي حنيفة بين سنة ٤٥٩ وسنة ٧٧١ هـ، بحث منشور في مجلة المعلم الجديد، الجزء الأول، تشرين الأول لسنة ١٩٤١، السنة السابعة، هامش ص ٥.

<sup>(٣)</sup> نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٩.

<sup>(٤)</sup> السبكي، طبقات الشافعية، مج ٣ / ٩٢.

ذكر ابن الجوزي أن أحد الفقهاء ممن تولوا التدريس في النظامية كان مليح المناظرة ... وكان مهيباً وحوله السيوف وهو بالوزراء أشبه منه بالعلماء <sup>(١)</sup> وهذا لدليل على المكانة الكبيرة التي حظي بها مدرسو المدرسة النظامية في بغداد ، علماً بأن هذه الامتيازات التي حظي بها عدد من مدرسي المدرسة النظامية من (خادم او حارس) اقتصرت على المدرسين المقربين من السلطة .

#### ٨) باحة للترفيه:

من باب الترفيه والتخفيف عن المدرسين والطلبة وعلى حد سواء في المدرسة النظامية ببغداد كان يسمح لبعض الشعراء بإنشاد بعض أشعارهم <sup>(٢)</sup>، لمديح أحد فقهاء المدرسة <sup>(٣)</sup> ومن الشعراء الذين ذكروا في شعرهم النظامية وتغنوا فيها الشاعر أبو علي حسين بن جعفر البندنجي ومما قاله فيها:

|                         |                                   |
|-------------------------|-----------------------------------|
| يكاد يحك منكبها الثريا  | بفرع مدهش الرائي طويل             |
| ويفخر سيل دجلة حين أمست | له جأراً على كل السيول يقبل       |
| حافتيها الموج حباً      | لها كمقبل خدي خليل <sup>(٤)</sup> |

<sup>(١)</sup> ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ / ١٧٩.

<sup>(٢)</sup> نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٧ .

<sup>(٣)</sup> ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تبين كذب المفترى فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الأشعري، عني بنشره: القدسي، (دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٩) ص ١٧١ .

<sup>(٤)</sup> جواد ، المدرسة النظامية ، بغداد ، بحث منشور في مجلة المعلم الجديد ، السنة الثامنة ، الجزء الثاني ، كانون الاول لسنة ١٩٤٢، ص ١١٦ .

## (٩) أوقاف المدرسة:

بعد أن أصبح التعليم بالمدرسة النظامية في بغداد حق للجميع وبدون مقابل زاد على ذلك الوزير نظام الملك بأن اهتم بترتيب الرواتب للطلبة والمدرسين بالمدرسة <sup>(١)</sup>، حيث قدر المعاليم للطلبة <sup>(٢)</sup>، وبعد ذلك صرفها للطلب <sup>(٣)</sup>، على شكل مرتبات تدفع للطلبة <sup>(٤)</sup> يجرون بها عليهم ما يقوم بهم <sup>(٥)</sup>، ولم تشر المصادر إلى مقدار الراتب غير أنه من الراجح إنها تكفي مؤونة الطلبة في ذلك الوقت حتى قيل إنه " فرض لتلامذتها الأرزاق والجواري والمعاليم " للطلبة المحتاجين <sup>(٦)</sup> فضلاً عن " الجرايات والكساوي والنفقات واجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافاً الى ارزاقهم " <sup>(٧)</sup>، وبذلك كان الوزير نظام الملك أول من " عين مرتباً منتظماً للطلاب المعوزين " <sup>(٨)</sup> ويذكر أنه كان يصرف في كل عام على الطلاب والأساتذة خمسة عشر ألف دينار <sup>(٩)</sup>.

(١) رؤوف ، مدارس بغداد ، ص ١٣.

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، مج ٣/ ١٣٧.

(٣) شلبي، التربية الإسلامية، ص ٣٥٨.

(٤) حلمي، السلاجقة، ص ٣٧٥.

(٥) ابن جبير، رحلة، ص ٢٠٥.

(٦) الحسيني، عمران بغداد، ص ١٥٠.

(٧) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١١١.

(٨) رايس، تامارا تالبوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم

الداقوقي، مراجعة: عبد الحميد العلوجي، (مطبعة الارشاد، بغداد: ١٩٦٨)،

ص ١٤٧.

(٩) الديوه جي، الخدمات الاجتماعية، ص ٤٠.

كان الأمراء والحكام والخلفاء والسلاطين هم الذين يديرون المدارس، أما الأوقاف التي ينفق منها على المدارس فيعين لها " ناظر " أو متول<sup>(١)</sup>، وقد عمد نظام الملك الى وقف الوقوف الكثيرة خشية انقطاع التدريس<sup>(٢)</sup> بالمدرسة النظامية ببغداد، وبذلك أوقف عليها وقفاً<sup>(٣)</sup> عظيماً وعقارات محبسة<sup>(٤)</sup>، من خلال قيامه ببناء أسواق حول المدرسة تكون حبساً عليها وابتاع لها ضياعاً وحمامات ومخازن ودكاكين أوقافاً عليها<sup>(٥)</sup>، ويذكر أنه في سنة (٤٦٢هـ / ١٠٦٩م) جمع الأمير العميد ابو نصر الوجوه الى المدرسة النظامية وقرأت كتب وقفيتها ووقف كتب فيها ووقف ضياع وأملاك وسوق ابتتيت على بابها<sup>(٦)</sup>، وجعلت التولية إلى أبناء نظام الملك<sup>(٧)</sup>، وقد أشير إلى أن الريع الذي كانت تنتجه الأوقاف المخصصة لنظامية بغداد كان ١٥٠٠٠ دينار في العام<sup>(٨)</sup>، وهذا يعد مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت .

وقيل إن الوزير نصير الدين الطوسي (ت سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأخبار الفقهاء والمدرسين وقرر القواعد للأوقاف وأصلحها بعد

(١) حلمي، السلاجقة، ص ٣٧٦ .

(٢) رؤوف، مدارس بغداد، ص ١٤ .

(٣) الاصفهاني، تاريخ، ص ٥٩ .

(٤) ابن جبير، رحلة ، ص ٢٠٥ .

(٥) نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٧ . ؛ الديوه جي، خدمات، ص ٤٠ .

(٦) جواد، المدرسة النظامية ببغداد، بحث منشور في مجلة سومر، المجلد التاسع، الجزء الأول، السنة ١٩٥٣، ص ٣٣٦ .

(٧) نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٨ .

(٨) شلبي، التربية الإسلامية، ص ٣٦٧ .

اختلالها <sup>(١)</sup>، حيث كان له اهتمام بدور العلم في العراق وحماها وصان كثيراً من أهلها من الإبادة وكان كثيراً ما يتردد عليها ويتصفح أحوالها وأوقافها وأمور مساجدها ودور العلم <sup>(٢)</sup>.

مما لا شك فيه أن حبس الأوقاف على المدرسة النظامية ببغداد كان بمثابة الشريان المهم الذي يغذيها ويبقيها على قيد الحياة فترة طويلة، فضلاً عن فتح باب العلم على مصراعيه أمام محبي العلم والتعلم من الفقراء والمعدمين لينهلوا من العلوم والمعارف ما يشبع رغباتهم وطموحاتهم، ذلك كله أعطى المدرسة النظامية في بغداد ثواباً عظيماً وذكرًا مخلداً .

#### ثالثاً: زوال شمس المدرسة النظامية وخرابها:

يذكر أن الرحالة ابن بطوطة قد رأى المدرسة النظامية شهر رجب سنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) ووصفها بالمدرسة العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسن <sup>(٣)</sup>، ويذكر أن المدرسة المستنصرية التي افتتحت سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) كانت أكبر وأحدث من النظامية وكانت وفقاً على أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، يستطيعون جميعاً دخولها فسقط بهاء النظامية بعدها وهجرت قليلاً قليلاً <sup>(٤)</sup>، وزوال المدرسة النظامية ذلك الزوال

<sup>(١)</sup> العزاوي، عباس، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، (مكتبة الحضارات، بيروت: د.ت) مج ١،

<sup>(٢)</sup> طلس، عصر الانحدار - يشتمل على تاريخ العراق والشام ومصر والجزيرة العربية والمغرب العربي منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ إلى آخر عصر النهضة في القرن الثالث عشر، (ط١، دار الأندلس، بيروت: ١٩٦٣)، ص ١٥٨.

<sup>(٣)</sup> ابن بطوطة، رحلة، ص ٢٢٥.

<sup>(٤)</sup> نفيسي، المدرسة النظامية، ص ١٤٨.

المحير والغريب يدل على أنها كانت قد أهملت بعد القرن الثامن وهو القرن الذي درس فيه .... مجد الدين الفيروز آبادي فيها وهو مؤلف القاموس المحيط ويدل أيضا على اغتصاب الحكام والولاة لأوقافها خصوصاً في عهد التركمان القرة قوينلية (٨٢٢ - ٨٨٤ هـ / ١٤١٩ - ١٤٧٩ م) والاق قوينلية (٨٨٤ - ٩١٤ هـ / ١٤٧٩ - ١٥٠٨ م) ثم تهدمت فأصبحت خربة استولى عليها احد الولاة فجعلها عقاراً مستغلاً وملكاً مستقلاً<sup>(١)</sup> وأشار إلى أنه لما خربت بغداد من توال الفتن والحروب، خربت المدرسة وأهمل أمرها على توالي الأعوام حتى اندرست وصار في موقعها محلة كبيرة من محلات بغداد<sup>(٢)</sup>.

حظيت المدرسة النظامية ببغداد بمكانة عظيمة في نفوس المسلمين من خلال تاريخها العلمي الطويل والحافل بالأسماء الكبيرة من العلماء والفقهاء الذين نهلوا من معارفها وعلومها الشيء الكثير، وتخريجها للعديد من مشاهير الطلاب الذين لمع اسمهم في العالم الإسلامي . حيث كانت بمثابة مؤسسة ثقافية ذات طابع جامعي متكامل، وأشار أحد الباحثين إلى أن المدرسة النظامية هي الأولى في الأهمية وإن لم تكن الأولى من حيث التسلسل التاريخي فإليها يرجع اصل المدارس الأخرى المهمة في الشرق بل ان تأسيس جامعات الغرب كان من وحيها وتأثيرها<sup>(٣)</sup>. فضلاً عن حملها لواء علوم الشريعة الإسلامية السمحاء في وقت عصيب وخطير عصف بالبلاد من خلال الفتن والاضطرابات الكثيرة .

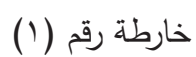
(١) جواد، المدرسة النظامية ببغداد، ص ١١٥.

(٢) الرويشدي ، امارة الموصل ، هامش ص ٢٠٣.

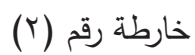
(٣) ابن بطوطة ، تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ج ١ ، ص ١٣٨.

ويكفيها فخراً وذكرًا أن لها قصب السبق والأولوية في توفير الخدمات الاجتماعية المتكاملة لطلاب العلم في ذلك الوقت.

إن طالب العلم حين يمنح "كسوة في السنة ويعطى له نفقه في كل يوم" ، فإن ذلك دليل قوي على حب الخير وإبداء العون لطلاب العلم المحتاجين من قبل الدولة والوجهاء والميسورين من أبناء الدولة العربية الإسلامية التي كانت مثلاً يحتذى به ومفخرة بين الأمم وفي المجالات كافة وعسى أن يعيد التاريخ نفسه لنرى تلك النفوس المحبة للخير وإبداء العون لطلاب العلم تنهض من جديد لبناء العراق الجديد .



نقلا عن جواد، المدرسة النظامية ببغداد، ص ٣٤٤.



نقلا عن، جواد، المدرسة النظامية ببغداد، ص ٣٣٤

## الخاتمة

لقد عدت المدرسة النظامية في بغداد من أشهر المدارس الإسلامية في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، وقد ضمت بين جنباتها العديد من مشاهير العلماء الذي لمع أسمهم في العالم الإسلامي ، حيث ان مؤسسها ، نظام الدين الطوسي لم يكن رجل سياسة وحسب وإنما كان فقيها محدثا أيضا ، وقد أملى الحديث في مدرسته النظامية في بغداد ، وقد عدت هذه المدرسة حدا فاصلا فيما يخص أماكن التعليم عند المسلمين .

إن الخدمات الاجتماعية المقدمة لطلاب العلم في المدرسة النظامية في بغداد، فتحت أبواب العلم أمام محبي العلم والتعلم من الفقراء والمحتاجين لينهلوا من العلوم والمعارف ما يشبع توقهم وطموحاتهم العلمية .